الأساليب البيانية في شعر عبد الله عباس خضير

Rhetorical Devices in the Poetry of Abdullah Abbas Khudair

م.م. محمد علاء المنصوري

Assist.lect. Mohammed Alla' Almansouri

جامعة البصرة ـ كلية التربية ـ القرنة

Basrah University - College of Education in Qurna

Email: mohammed.obaid@uobasrah.edu.iq

أ.م.د. نور الهدى طاهر الهواش

Nour Al-Huda Taher Al-Hawash

وزارة التربية ـ تربية البصرة

Ministry of Education, Basra Education

Email: synkhnwralhdytahrhnf@gmail.com

الكلمات المفتاحية : الأساليب البيانية، عبد الله عباس خضير، الاستعارة .

Keywords : Rhetorical devices, Abdullah Abbas Khudair, metaphor .

الملخص :

تشكل الأساليب البيانية دورًا مهمًّا لإضفاء الجمالية والعمق الفني للنص الشعري، فهي تعكس تجسيد المشاعر والأحاسيس التي يعبر عنها الشاعر ؛ لينتج نصًّا يمثل تجربته الشعرية، كما تسهم في إثراء النص الشعري بدلالات متنوعة للنص، وتشكل دورًا مهمًّا في تعزيز الجانب التصويري الذي يمثل صورًا حيّة في ذهن المتلقي بشكل يدفع إلى تحفيز خيال المتلقي، وهو يغوص في النص الإبداعي، فضلًا عن أنّها تعد من الركائز المهمة في بناء النص الشعري، وأكثر الوسائل البلاغية جمالًا وتأثيرًا ؛ لما لها من دورٍ فاعل في قدرتها على الإيجاز والاختزال، وقد جاءت الدراسة تتضمن التشبيه والاستعارة والكناية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يساعد على الكشف عن الأساليب البيانية، وتحليل النص الشعري للكشف عن مكامن الجمالية والإبداع في ذلك النص، فضلًا عن الكشف عمَّا يحمله النص من طرائق معنوية وفكرية، تساعد على إجلاء الصور البيانية، ومدى ما يحمله النص من محاسن نظمية وأسلوبية تحت تأثره في الأساليب البيانية، فضلًا عن تتبع بواعث الصورة النفسية والاجتماعية، التي تسهم الأساليب البيانية في إبرازها وحضورها ؛ لما تنطوي عليه تلك الأساليب من أسرار إبداعية وفنية، ومظاهر تصويرية تضفي للنص الأدبي الثراء الجمالي والإبداعي، كما وقد تضمنت الدراسة جانبًا تنظيرها للأساليب البيانية واختير الشاعر عبد الله عباس خضير أنموذجًا للتطبيق.

Abstract :

Rhetorical devices make poetry more beautiful and deeper, They show the poet's feelings and emotions, The poet uses them to create a text that reflects his own experience, These devices add different meanings to the poetic text , They also create strong images in the reader's mind , These images stimulate the reader's imagination when they read the creative text In addition, rhetorical devices are important building blocks of poetry. They are the most beautiful and effective rhetorical tools because they can say a lot using few words. This study includes simile, metaphor, and metonymy, The study uses the descriptive analytical method , This method helps to find rhetorical devices in the text , It also helps to analyze the poetic text to discover its beauty and creativity, Furthermore, it reveals the hidden ideas and meanings in the text, This makes the rhetorical images clear, The study also shows how the text's structure and style are improved by rhetorical devices, It also looks at the psychological and social reasons behind the images. Rhetorical devices help to show these reasons clearly, These devices have creative and artistic secrets. They also have visual elements that give the literary text beauty and richness , The study includes a theoretical part about rhetorical devices , The poet Abdullah Abbas Khudair was chosen as an example for analysis .

الأساليب البيانية في شعر عبد الله عباس خضير:

تعد الأساليب البيانية من العناصر المهمة والأساسية في خلق الصورة الشعرية المبدعة للنص الأدبي، فهي جوهر الإبداع الفني، ووسيلة من الوسائل القوة التي يكونها خيال الشاعر ؛ لخلق صورة جديدة مبدعة، ومؤثرة في المتلقي تحرك خياله، وتبث فيه روح المتعة، إذ تعد الأساليب البيانية ركيزة جوهرية في بناء النص الشعري، فهي لا تقتصر على كونها أدوات للتجميل اللفظي بل هي الوسيلة الأقوى، التي يعكس عبرها الشاعر تجاربه الشعورية، وينقل مشاعره وأحاسيسه بها إلى ذهن القارئ، فضلًا عن دورها في تحفيز خياله عبر خلق صور حيّة تضفي عمقًا فنيًّا، ودلالات متنوعة على النص الأدبي .

وبناءً على ذلك سنتناول أهم الأساليب البيانية في شعر شاعرنا المتمثلة بالتشبيه، والاستعارة، والكناية ؛ للكشف عن أسرارها الفنية، المرتبطة بواقع الشاعر، وتجربته الذاتية :

أولًا ـ التشبيه : يُعد التشبيه من أهم الوسائل البيانية التي يضفي للنص الأدبي جمالًا ورونقًا ووضوحًا ، فهو يجعل من المعاني الخفية ظاهرة، ومن الأفكار العميقة قريبة إلى ذهن المتلقي، كما أنه يعمل على إثارة الأحاسيس، وتحريك القلوب، عبر استثمار اللغة وأساليبها الواسعة، فللتشبيه الروعة والجمال والموقع الحسن في البلاغة ؛ لأنه يخرج الخفي إلى الجلي، ويدني البعيد من القريب، ويزيد المعاني وضوحًا ورفعة، ويكسبها جمالًا وفصلًا، ويكسوها شرعًا وبذلًا ؛ فهو واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعد المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غرير الجدوى، وإذا أردت عبر أساليب البيان إثبات صفة لموصوف مع التوضيح، أو وجه من أوجه المبالغة فإنك تعمد إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وتعقد بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح تلك الصفة، أو المبالغة في إثباتها ؛ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى (ينظر : الهاشمي، 2017، صفحة 249)، فالتشبيه من أقدم الوسائل الفنّيّة في بناء الصورة الشعريّة وتحديد أبعادها، فهو مزية فنية بنائية داخل النص الشعري، يرسم عبرها الشاعر بلاغة نصوصه الإبداعية، فضلًا عن أنه رسمٌ فنّيّ يقوم على ملاحظة التماثل بين الأشياء وتصويرها بدقّة، ويولد من ذات الشاعر بهدف التقريب بين الأشياء في مسار تعبيره عن ورؤاه الخاصّة ومواقفه، فالتشبيه لا يعني صهر شيئين وجعلهما في ذات واحدة، بل هو عمليّة مماثلة تحافظ على خصوصيّة كلّ طرف منهما مع التركيز على الجوانب المماثلة لذلك، فعبر التشبيه يقوم الشاعر بتجاوز ظواهر الأشياء إلى بواطنها، وربطها بما يساوره من أحاسيس وانطباعات، وبه يبث أفكاره إلى متلقيه، ويحاول أن يشرك القارئ معه في أفكاره ومشاعره (ينظر : بيضون، ع1 ، ربيع 2019م.، صفحة 240) .

وقد حظي أسلوب التشبيه بمكانة كبيرة، ورعاية ملحوظة عند الشعراء ؛ للتعبير عن إبداعهم وإبراز مواهبهم، وإكسابها شاعرية خصبة، تكشف عن إمكاناتهم في وصف الأشياء بفنية عالية، وأسلوب لغوي مميز، بالاعتماد على عبقريتهم في التصوير الفني، والابتعاد عن الصورة التقريرية المباشرة عبر عنصر المشابهة، " كتشبيه الخدود بالورد، والشعر بالليل، والوجه بالنهار، وتشبيه سِقط النار بعين الديك (ينظر : الجرجاني، 1991، صفحة 40)، إذ يعمل الشاعر فيه بوصف الشيء بما يقاربه من جهة واحدة، أو جهات متعددة ، لا من جميع الجهات، فلو كان في جميع جهاته لأصبح الشيء نفسه تمامًا (ينظر : القيرواني، 2012، صفحة 241)' وإنَّ تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر يكون من جانبين، يحتاج الأول إلى تأويل، فيشمل الشكل واللون، والتشبيه الذي يجمع شيئين، فيما يدخل تحت الحواس، أما الآخر فيرى أنَّه لا يحتاج إلى تأويل لفهم وجه المشابهة بينهما (ينظر : الجرجاني، 1991، صفحة 90)، وشكل التشبيه دعامة أساسية في شعر الشاعر عبد الله عباس خضير، فالشاعر يعمل بوساطة التشبيه على إيصال تجربته الشعرية إلى ذهن القارئ، لتمكين شعره في النفوس، فضلًا عن ذلك للوقوف على أنماط الصور التي يدونها الشاعر عبر الصور البصرية والحسية واللونية والسمعية، التي يوظفها في شعره، وعلى غرار ذلك فقد استطاع عبد الله عباس خضير بتلقائية شاعرة أن يوظف التشبيه في شعره، ويخلع عليه المعاني والأحاسيس بهدف التأثير في القارئ، وإيصال الفكرة، والهدف الذي يريد ايصاله عبر التشبيه .

ويوظف الشاعر التشبيه في قصائده الشعرية وذلك في قصيدته التي بعنوان : " هل كنت تصدّقُ ؟ (خضير، تساجلني شعرًا، 2016، صفحة 15) :

" أُعيذُكَ من صيفِ البصرةِ
يُشعلُ
كالمجنون حرائقَهُ ...
والكلُّ ينامْ ...
بالنّقّال
طلبتُ أباهُ بأمريكا
شوقٌ
ترحيبٌ
وسلامْ ...
هَاتَف زَوجتَهُ
فُتِحَ البابُ
انتهتِ القِصّةُ

هَل كنتَ

تصدّقُ هَذا

في الأحلامْ ... ؟

يوضح الشاعر في النص الشعري طبيعة البصرة وحرارة الأجواء فيها في فصل الصيف، وقد أظهر ذلك باستعمال أداة التشبيه (الكاف)، التي أعطت النص تأكيدًا واضحًا للصورة التي رسمها الشاعر في نصه الشعري، فتمتاز الشمس بعلوها وشموخها وارتفاعها فوق الكائنات، فتجلى في الخطاب الشعري ظاهرة الضوء المنبثق عن الشمس، إذ لم يقف الشاعر عند حدود الوصف المادي لسطوع الأشعة بل تجاوز ذلك عبر تصوير حالة من التوهج، الذي يجتاح البصر، وتعجز القدرة الإدراكية للعين البشرية على مقاومته، لقد شكل هذا التصوير رمزًا للتدفق الوجودي المستمر ومنح الصورة الشعرية أبعادًا كونية، جسدت الفناء والانبعاث، وقد تشكلت فاعلية التشبيه هنا في تشكيل المشهد الشعري وفق رؤية جمالية مكثفة، فالتشبيه يتجاوز كونه مجرد آلية تربط بين طرفين (مشبه ومشبه به)،، وهو بذلك يمنح للنص استراتيجية نصية تثير المتلقي وتوجه انتباهه نحو ما يحمله النص من جمالية خفية، وهو ما يخلق بلاغة التأثير النفسي والجمالي، وبذلك فإنَّ التشبيه الذي وظفه الشاعر في هذا النص، أعطى صورة بديعية جمالية وفنية مبهرة، فضلًا عن الكشف عن الحالة الشعورية والنفسية للشاعر، فهو تحت تأثير الجو اللاهب، وما يتعرض بسببه من أذى مستمر نفسيًّا وصحيًّا، فقد صور الحر كالمجنون الذي يشعل النيران في المكان، ولا يبالي بالنتائج، فالمجنون لا يعي أفعاله، وهذا التصوير دلالة على نفور الشاعر نفسيًّا من أجواء الحر، وتأثره تأثيرًا يلقي بنقسه نحو التعبير عن مشاعره تعبيرًا يعكس مدة شراسة الأجواء فـاي البصرة، وهي أجواء حتمية متعلقة بالطبيعة لا محال منها ولا حلول لها من حيث تغيير طابعها، وما يعكس نفور الشاعر من الطبيعة هو تشبيهها بالمجنون، مما يدلّ دلالة واضحة على نفور الشاعر من الطبيعة نفسها لا من البشرية التي يمكن لها التدخل لحل أزمة الحر.

ولا يمكن عد التشبيه قياسًا بين جملتين أو أكثر، ويقوم عليه ما يُراد التعبير عنه عبر قطع الشبه بين مفرداته فقط، بل يتعدى ذلك إلى مصاحبة تلك المفردات بمعانٍ إضافية، مما يجعل من النص الشعري نصًّا أكثر جاذبيّة وإحكامًا، كما يمكن عدّه من أهم الأدوات المساعدة على إبراز الصور البديعة، وجعل النص الشعري أكثر تميّزًا ودقةً وجمالًا وتأثيرًا في المتلقي، ويستعمل التشبيه في الشعر بوصفه وسيلة إبداعية للتعبير عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس، ويعطي الشاعر حرية كاملة في التعبير عن نفسه بالاعتماد على الرمزية والصور المجازية، التي يستعملها في تشبيهاته، ويكون دور التشبيه في الشعر الحديث هو إضفاء جمال وإثارة على النص الشعري، ويستعمل التشبيه لتوصيل الصورة بشكل أكثر تعبيرًا وتفصيلًا وإثارة للاهتمام، كما يستعمل لخلق مشاعر

معينة، وإيصال رسالة أو فكرة بشكل أكثر قوة وتأثير. ويجسد الشاعر ذلك كما في نصه التشبيهي في قصيدته التي جاءت بعنوان: " هزيمة " (خضير، تساجلني شعرًا، 2016، صفحة 16) :

فَقدتْ توازنَها
أَمامي
وترنّحتْ
كالمُستهامِ
فحسِبتُها
فِعلَ المُغّفل
قد تمادَتْ
في غَرامي
ثم اسبَطرّتْ
وانتخَتْ
فِعلَ المُقاتلِ
للصِّدامِ
ثمّ استدارَتْ
للقتالِ

فالشاعر في النص الشعري أظهر تشبيهًا بديعًا، فقد استعمل أداة التشبيه " الكاف "، وتجدر الإشارة إلى أنَّه شبه محبوبته بأنها تشبه المستهام الولهان شوقًا وحبًّا وغرامًا للقاء المحبوب، وهذا ما يدل أنَّ النص ذو دلالة عميقة، وهي أنَّ التخاصم والفراق بين الشريكين أمر حتمي لا مفرّ منه، وحال القلوب عندما ينقطع بينها الود فلا يعود كسابقه، إذ إنَّ الأمور تجري على عكس ما كانت سابقًا، فهو عبر هذا التشبيه يحاول أن يكشف صورة مبطنة للواقع الذي نعيشه، وهو عبر هذه الصور أراد أن يبين حالته، وحالة من يشبهه في الكون، فشاعرنا يجسد في أشعاره قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية، ويعملً على تلوين هذه القضايا بالتشبيه وفنون البيان الأخرى ؛ لتعطي النص الشعري جمالية فنية، ومعاني متعددة، تبين مكنونات النفس الداخلية للشاعر، مما يجعل في النص فاعلية فنية وإبداعية، تتشكل عبر استعمال التشبيه، الذي يكشف عن أداء ماهرٍ وبارعٍ يتسم فيه الشاعر .

ثانيًا- الاستعارة:

الاستعارة عند العرب أسلوب من الكلام، يكون اللفظ المستعمل فيها في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة المشابهة، التي تقوم بين معنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، وهي لا تزيد عن التشبيه إلا بحذف المستعار له، فهي ضرب من التشبيه حذف أحد طرفيه الرئيسيين، والعلاقة بين الموصوف وصورته فيها قائمة التشابه دائمًا، لكن هذا التشابه هو كالتحام، وتقارب كانسجام، لأنَّه يفضي إلى فناء أحد الطرفين في الآخر، ولهذا فإن الاستعارة عند العرب كانت من قبيل المجاز، فإننا أمام صور الاستعارة لسنا باتجاه لوحتين في ظاهر الكلام، بل أمام لوحة واحدة لكنها مزروعة في السياق الذي ينبهنا إلى ضرورة استحضار لوحتين موجودتين في باطن الكلام (ينظر : الطرابلسي، 1981، صفحة 161. 162).

ويعرف أبو هلال العسكري الاستعارة بأنها : ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض إما أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه)) (العسكري، 1997، صفحة 274)، فالاستعارة هي علاقة قائمة على تشبيه معنى بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناه حسًّا وعقلًا، أي إنها تتناول أمرًا معلومًا يمكن أن ينص عليه، ويشار إليه بالإشارة الحسية أو العقلية، فيقال إنَّ اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسمًا له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه، وإعطاء النص ثيمة فنية وجمالية، وبهذا فإنه يجب أن يكون لها قصد، أو هدف وإلا فإن استعمال اللفظ في معناه الأصلي أولى .

أما عبد القاهر الجرجاني فعرّف الاستعارة بأنّها ما اكتفي بلفظٍ مستعار عن لفظٍ أصلي في الجملة، وذلك عبر العلاقة بين اللفظ المستعار واللفظ المستعار له، وهي علاقة تناسب بحيث يمتزج اللفظ بالمعنى، ولا يحدث في اجتماعهما أيّ تنافر (ينظر : الجرجاني ع.، 2006، صفحة 45)' وتحتل الاستعارة موقعًا مهمًا في الخطاب الشعري، فهي اللبنة الأساسية التي ينبني عليها الخطاب الشعري، فهو يبنى عليها ولا يمكنه أن يوجد إلا بوجودها، إنه يبنى بناءً استعاريًا، ويرتكز هذا البناء على الاستعارة، والآليات التي تؤسس الاستعارة تنمو وتتشعب من خلالها ؛ لكون النص ليس فقط مجرد مجموعة من الاستعارات الجزئية الصغرى التي لا تجمع بينهما أيّة رابطة، وإنَّما استعارة كبرى يخضع لقواعد سياقية داخلية، وكذلك أيديولوجية، تتمثل في مختلف علاقات التماثل والتخالف، التي تقيمها عناصر العالم الخارجي، وتظهر في النص (ينظر : الحنصالي، 2005، صفحة 15 . 16) .

فما زالت الاستعارة جزءًا جوهريًّا وأحد الدعائم والأدوات التي يقوم عليها بناء النص الشعري وأبرزها استعمالًا، فهي ليست مجرد تنميق لفظي، بل وسيلة جمالية وعقلية ودلالية حيّة وفاعلة، مساعدة في كشف الرموز اللغوية التي ينطلق منها المبدع.

واهتم الشاعر عبد الله عباس خضير بتوظيف الاستعارة في منجزه الشعري، مبينًا عبر هذه الاستعارة الصور المجازية والبيانية، التي أطّرها في قصائده الشعرية، ومن الأمثلة التي تتضمن الاستعارة ما جاء في قصيدته التي بعنوان " متجر " (خضير، تساجلني شعرًا، 2016، صفحة 35) :

" فِي أيِّ مَتْجَرٍ
ستُعرَضُ
كلُّ هذهِ الأقمشةْ
لو
أنَّ القصيدةَ
خلعَتْ
ملابسَ عرسِها
وبهارجَ
حفلِها
ثمّ
خرجَتْ عَلَى المحتفلينَ
بفاكهةِ النومْ ...

نلمح الصورة الاستعارية في النص الشعري الآنف ذكره، والمتمثل بالأقمشة، وجاءت الاستعارة هنا تصريحية ؛ لأنها تصرح بشكل واضح عن المعنى المراد إيصاله إلى القارئ ؛ وذلك لأن الاستعارة التصريحية ما يُصرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أو التي يذكر فيها طرف المشبه به، ويحذف الطرف الآخر وهو المشبه، ولا يقف الأمر عند الاستعارة التصريحية فحسب، بل نجد استعارة أخرى، هي الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة حذف فيها المشبه به، وذكر المشبه، إذ شبه القصيدة بالإنسان الذي من صفاته خلع الثياب، وقد حذف المشبه به، وترك صفة من صفاته، وهي لازمة تدل على المستعار منه ؛ كونها تمثل اللفظ المستعار، كما نجد هذا النوع من الاستعارة متجسّدًا بفاكهة النوم، إذ شبه الشاعر انعدام النوم بما فيه من استراحة وسكينة وارتياح بالأشجار المثمرة، التي فيها أطيب الفواكه، وقد أعطى حضور هذه الاستعارة في النص الشعري جرسًا ثقافيًّا وفنيًّا وجماليًّا عبر تنوع الأداء البلاغي في النص الشعري .

كما يوظف الشاعر الاستعارة في قصيدته التي بعنوان " الشاهد " (خضير، حول الخط الاحمر، 2012، صفحة 13) :

أبا عليٍّ
فزتَ بالرّهان
امسكتَ بالزّمان
كالثَّور من قرينه
كنتَ الشاهدَ الوحيد
على ضياع الكائن الإنسانِ
كنتَ القارب المبحرَ في مجاهل النّسيان
والشاعرُ المخصيُّ من شفاهِه
يمتهن المديحَ في محافل السّلطان
وكان ثَمَّ كان
شاهدَ زورٍ
ينثر الزهور
في حضرة الأمير والقيان والخصيان

كشف النص الشعري عن الاستعارة المكنية التي شبهه الشاعر فيها الزمان بالحبل، فقد حذف المشبه به، وترك قرينة من لوازمه وهو الإمساك، فالزمان يجري سريعًا دون معرفة ما يريد، وهذا توظيف للواقع الذي نعيشه اليوم، وسر الجمال في الاستعارة المكنية يؤكد المعنى ويوضحه، حيث يعد حقيقة من بين الحقائق المؤكدة ولكن بشكل آخر، في حالة ملاحظة المعنى المجازي والحقيقي للاستعارة المكنية نجدها عبارة عن حقيقة، لذا لا يمكن استعارة شيء معين من أحد إلا في حالة وجود صلة معنوية بينهما، لذلك فإن الشاعر يكون دقيقًا وحذقًا في اختيار ألفاظه ومعانيه التي يوظفها في شعره ، كما كشف استخدام الشاعر للاستعارة عن إحاطته بالصورة بشكل كاملٍ إذ أضفى للصورة حركة وفاعلية ساعد على إزادة النص نبضًا في التصوير، كما كشفت الاستعارة عن صورة الحزن النفسي الذي يشعر به الشاعر بسبب ما يحيط به من قضايا قاهرة يشكل فيها الزمن عنصرًا أساسيًّا لتعقيدها وأزمتها، وهو ما يدلل على أن للأساليب البيانية دورًا مهمًا يساعد الشاعر على التعبير عن قضاياه وهمومه فهي تشكل وعاءً مهمًا في صب تأملات الشاعر وتفكيره في جوانب الحياة جميعها .

ثالثًا ـ الكناية:

الكناية هي لفظ أريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: (زيد طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه ؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذًا المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يُعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية دون المجاز، فإنه ينافي ذلك (ينظر : الهاشمي، 2017، صفحة 345) .

وعرف السكاكي الكناية بقوله: ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، وكما تقول: فلانة نؤوم الضحى، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو كونها مخدومة)) (السكاكي، 1987، صفحة 402) .

وتضطلع الكناية بدور بارز ومهم في إثبات المعنى والتأكيد عليه، كما ينقدح في لُبّهَا الإبداع والجمال ؛ ذلك أنها لا تجنح إلى المعنى مباشرة، بل إنَّها تقوم على التلميح، والتلميح أبلغ من التصريح ؛ إذ تدفع المتلقي إلى إعمال فكره من أجل الوصول إلى المعنى، ومجيء مآتي القول على هذه الصورة، تجعل المعاني آكد وأبلغ في نفوس المتلقين، خلافًا لمجيئها على هيأة الحقيقة والتصريح، وما يعضد هذا الحديث هو قول الجرجاني : وهو أنَّ المعنى إذا أتاك ممثلًا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف، كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه في النفس أجل وألطف (الهومي، ع 73 ، ديسمبر 2021م .، صفحة 76)' فهي ترتقي في المشاعر وتضفي على المعنى بهاءً ورونقًا وقوة .

وقد وظف الشاعر عبد الله عباس خضير الكناية في منجزه الشعري ؛ ليضفي طابع التونع البياني في نصوصه الشعرية، ومن الأمثلة التي تتضمن الكناية ما جاء في قصيدته التي بعنوان : " يُروى أن الواوي " (خضير، مراثي القبيلة، 2016، صفحة 27 . 28) :

يُروَى

أنّ (الواوي)

حلَّ

بأطراف القريةِ

في الليل

مُعتمرًا

بلَبوسِ التّقوى

مِن أَعلى أذنيهِ

إِلى عِطفيهِ

إِلى أَدنى الذّيل

قالَ لهم

والنّاسُ جياعُ

قَد ذَاقوا

أصنافَ الويل

يا قومُ

بأرضكمُ كنزٌ

فدعوني

أُفرغ منه عليكم

أنهارًا من ذهبٍ

كالسّيل

ليس عليكم

إلا أن تنتخبوني

وشعاري

التّقوى

والعفّةُ

والإصلاح

صاح الكلُّ

يعيش (الواوي)

والكلُّ

مع (الواوي) راح

حتّى الشيخُ

وحتّى الطفلُ

وحتّى العاملُ

والفلّاح

جلس (الواوي)

فوق العرشِ

وعند حلول الظلمةِ

صاح

فتداعتْ

من ظلمات الأرضِ

ومن عمق دياجيرِ الغابةِ

أسرابٌ

تتبعها أسراب

فالشاعر في هذا النص يوظف الكناية الساخرة توظيفًا دقيقًا، إذ كنى الشاعر عن رجل السلطة الذي يتوشح بلباس القداسة المزيف بالواوي، وهو الحيوان المعروف بصفة الخداع والاحتيال، وهي كناية ساخرة، لطيفة، كنى بها عن موصوف، تكشف عن قدرة الشاعر الكبيرة بالتلاعب بالألفاظ، لإيصال المعنى المراد، والكشف عما يدور في ذهن الشاعر من معاناة اجتماعية وسياسية، بالإيحاء الفني التي تبثه الكناية .

فالشاعر يعبر عن استغلال الواقع المرهق للمواطن بالوعود الزائفة، والتظاهر بإصلاح الواقع المزري المليء بالجوع والفقر والحرمان من قبل المحتال، مما أدى بالجمهور إلى أن ينخدع به، ويصفق له بجميع أصنافه الصغير والكبير، والعامل والفلاح، وهو بذلك يستغل الدين بلباس التقوى الذي هو ثوب لا يلبسه إلى من هو جدير به، لكن سرعان ما ينكشف هذا الثوب الزائف، والوعد الوهمي، بوصوله للسلطة، واستمتاعه بالكنز، الذي دفع ثمنه الناس ؛ لانخداعهم بالمحتال الذي ظهر بثوب العفة والتقوى والإخلاص، فالشاعر كشف عبر توظيفه الفني للكناية عن الوجه المزيف المتستر وراء قناع التدين، ورصده لصورة الاحتيال، والخداع، واستغلاله للوصول إلى الغاية بوساطة ثوب القداسة الوهمي الزائف، إذ استطاع الشاعر أن يوظف هذا الأسلوب الساخر توظيفًا ذكيًا ؛ ليكشف عبر التلميح عن نقده للواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه المواطن .

ويوظف الشاعر الكناية كذلك في قصيدته التي بعنوان " على رصيف الأمانة " (خضير، حول الخط الاحمر، 2012، صفحة 45) :

لماذا التّصريح ؟

إنّي لا أملك إلّا الشعرَ

وإلّا قبضَ الريح

قد أرهقني عبءُ الدهرِ
وقد أضناني التّبريح
فلماذا ألقوني في الجُبِّ
ولا قافلةٌ
فأصيح
تعبتْ عينايَ من التحديقِ
وملّتْ كفايَ التّلويح
رماني إخوتي
يا قاتلَ اللهُ الخيانةَ ...
لم تمر بقرب هذا الجبّ قافلةٌ

لقد كشف النص الشعري عن جمالية الصورة الكنائية التي وظفها الشاعر في هذا النص، إذ جسد معالم هذه الصورة عبر الأسلوب السلس الدقيق، فقد جاء الصورة الكنائية مكثفة المعاني، منفتحة على رؤية جمالية دقيقة، وقد برع الشاعر في رصدها بطريقة واضحة ومفهومة للقارئ، فجاءت الكناية التي رسمها في هذا النص مجسدة الحالة الشعورية الصادقة التي يبثها الشاعر، فالشاعر في كناياته يستدعي قصة يوسف لكنه لم تمر به القافلة، فالشاعر ليس مثل نبي الله يوسف الذي ناله الخلاص من الجب، وهنا تكمن القوة البيانية في مفارقته للنص القرآني ، وهي كناية عن الاحباط واليأس من الاستجابة والخلاص ؛ لذا فقد جاءت الكناية معبرة عن الواقع المأزوم الذي يمر به الشاعر، وقد اعتمد الشاعر على الكناية ؛ ليرسم صورة قوية للصراع الحاصل بينه وبين الواقع الذي يعيشه، إذ جسد النص حالة البؤس واليأس التي تسيطر على الشاعر لتكون الكناية في هذا النص قد شكلت صورة ثرية بالواقع ؛ لأن الشاعر استخدم عبر الكناية عناصر البيئة التي تحيط به .

من خلال ذلك يظهر أن الشاعر عبد الله عباس خضير، قد برع في توظيف الصيغ البيانية في مجاميعه الشعرية، وكان الهدف من هذا التوظيف هو إضفاء الجمال والتنوع في تركيب النص الشعري، وعدم السير على وتيرة واحدة في النمط ذاته، فضلًا عن ذلك فإن هذه الصور البيانية قد أظهرت الحالة النفسية والشعورية التي تعتمل الشاعر، موظفًا هذه الحالات في نصوصه الشعرية بشكل واضح وصريح دون تكلف أو غموض أو مبالغة .

الخاتمة:

أفضت هذه الدراسة الموسومة بـ " الأساليب البيانية في شعر عبد الله عباس خضير" إلى جملة من النتائج الجوهرية، التي تشكلت من خلالها الرؤية الكلية للمنجز الشعري عند الشاعر، وقد تبيّن من خلال التقصي التحليلي والوصفي:

1. أن الأساليب البيانية تمثل العمود الفقري لبناء الصورة الشعرية لديه وليست مجرد إضافات تزيينية، فقد كشفت الدراسة عن براعة الشاعر في استثمار طاقات التشبيه بمختلف أنواعه، لا سيما حينما نقل المعاني الخفية إلى حيز الظهور والوضوح، موظفًا أدواته " كالكاف" ؛ لرسم ملامح البيئة الصعبة في البصرة، وتجسيد انفعالاته النفسية تجاه الواقع .

2. أظهرت الدراسة أنّ الاستعارة عند خضير تتجاوز كونها انزياحًا لغويًّا لتصبح آلية لبناء نص موازٍ يضج بالحركة والفاعلية، فقد نجح الشاعر في توظيف الاستعارات المكنية والتصريحية ؛ لبث الحيوية في الجمادات، وتجسيد الزمن كعنصر صراعي يؤزم الحالة الشعورية للشاعر.

3. بروز الكناية بوصفها أداة نقدية واجتماعية بليغة، مكّنت الشاعر من التلميح إلى قضايا الفساد والاستغلال السياسي عبر صور ساخرة ورمزية عالية، مستلهمًا من الرموز التراثية والقرآنية، ما يعمق دلالات اليأس من التغيير في الواقع الراهن .

4. لم يكن التنوع البياني في شعر عبد الله عباس خضير عشوائيًا بل جاء منسجمًا مع الحالة النفسية، والمواقف الفكرية للشاعر، فقد استطاع عبر هذا المزيج البلاغي أن يقدم نصًا شعريًّا إبداعيًّا اتسم بالوحدة الفنية، والعمق الدلالي، مع الحفاظ على سلاسة الأسلوب، والابتعاد عن التكلف أو الغموض، الذي قد يحجب الرؤية الإبداعية عن المتلقي .

5. وعلى صعيد التحليل النفسي والاجتماعي فقد خلصت الدراسة إلى أنّ الأساليب البيانية في شعر عبد الله عباس خضير لم تكن مجرد تشكيلات لفظية بل مثّلت انعكاسًا للصورة النفسية، التي تعكس نفور الشاعر وتأثره بالأزمات الوجودية والبيئية المحيطة به، إذ جاء البيان يشكّل وعاءً لصب انكسارات الذات، ومحاولة ترميمها جماليًّا أمام قسوة الواقع .

6. كشفت الدراسة عن نجاح الشاعر في توظيف البيان كأداة للتشخيص الاجتماعي، حيث لم يكتفِ برصد الظواهر بل استنطقها بيانيًّا ؛ لتعرية زيف الواقع المتستر خلف أقنعة القداسة الزائفة، وبهذا حقق الشاعر تلاءمًا دقيقًا بين الوظيفة الجمالية للصورة والرسالة القيمية، التي تهدف إلى إيقاظ وعي المتلقي، وتحفيز خياله تجاه القضايا الراهنة .

المصادر والمراجع:

1. القيرواني، ابن رشيق. (2012). العمدة، شرح وضبط : عفيف نايف حاطوم. بيروت، لبنان : دار صادر، ط3.

2. السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي. (1987). مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه وعلق عليه : نعيم زرزوز. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٨٧.

3. الهاشمي، احمد. (2017). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. مصر: مؤسسة هنداوي.

4. العسكري، (1997). الصناعتين، تح : علي محمد البجاوي، وآخرون. بيروت: دار الفكر، ط٢

5. بيضون، خليل. (ع1، ربيع 2019م.). بنية الصورة في الشعر الحديث، . بيروت– لبنان: مجلة أوراق ثقافية . مجلة الآداب والعلوم الإنسانية .

6. الحنصالي، سعيد. (2005). الاستعارات والشعر العربي الحديث. المغرب: دار توبقال، ط1.

7. الجرجاني، عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، ط1.

8. خضير، عبد الله عباس. (2012). حول الخط الاحمر. البصرة: شركة الغدير للطباعة والنشر.

9. خضير، عبد الله عباس. (2016). تساجلني شعرًا. العراق: دار ابن السكيت للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.

10. خضير، عبد الله عباس. (2016). مراثي القبيلة. العراق: دار ابن السكيت.

11. الجرجاني، للقاضي علي بن عبد العزيز. (2006). الوساطة بين المتنبي وخصومه, تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , وعلي محمد البجاوي،. بيرروت: المكتبة العصرية، ط1.

12. الطرابلسي، محمد الهادي. (1981). خصائص الأسلوب في الشوقيات. تونس: منشورات الجامعة التونسية.

13. الهومي، نبيل. (ع 73، ديسمبر 2021م .). ماهية الكناية في البلاغة العربية. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية.

References

1. Al-Qayrawani, Ibn Rashiq. (2012). Al-Umda (The Pillar) (A. N. Hatoum, Ed. & Ann.). 3rd ed. Beirut, Lebanon: Dar Sader.
2. Al-Sakkaki, Abu Yaqub. (1987). Miftah al-Ulum (The Key to Sciences) (N. Zarzour, Ed. & Ann.). 1st ed. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
3. Al-Hashimi, A. (2017). Jawahir al-Balagha (Jewels of Eloquence: On Semantics, Rhetoric, and Figures of Speech). Egypt: Hindawi Foundation.
4. Al-Askari, Abu Hilal. (1997). Al-Sina'atayn (The Two Crafts: Prose and Poetry) (A. M. Al-Bijawi et al., Eds.). 2nd ed. Beirut: Dar al-Fikr.
5. Baydoun, K. (2019). The Structure of the Image in Modern Poetry. Awraq Thaqafiya: Journal of Literature and Human Sciences, (1). Beirut, Lebanon.
6. Al-Hansali, S. (2005). Metaphor and Modern Arabic Poetry. 1st ed. Morocco: Dar Toubkal.
7. Al-Jurjani, Abd al-Qahir. (1991). Asrar al-Balagha (The Secrets of Eloquence) (M. M. Shakir, Ed. & Ann.). 1st ed. Cairo: Al-Madani Press.
8. Khudair, A. A. (2012). Around the Red Line. Basra: Al-Ghadir Printing and Publishing Company.
9. Khudair, A. A. (2016). Sajilni Shi'ran (Debating Poetry with Me). 1st ed. Iraq: Dar Ibn al-Sikkit.
10. Khudair, A. A. (2016). Marathi al-Qabila (Elegies of the Tribe). Iraq: Dar Ibn al-Sikkit.
11. Al-Jurjani, Judge Ali bin Abd al-Aziz. (2006). Al-Wasata Bayna al-Mutanabbi wa Khusumih (Mediation Between Al-Mutanabbi and His Opponents) (M. A. Ibrahim & A. M. Al-Bijawi, Eds.). 1st ed. Beirut: Al-Maktaba al-Asriyah.
12. Al-Trabulsi, M. H. (1981). Stylistic Characteristics in Al-Shawqiyyat. Tunisia: Tunis University Press.
13. Al-Humi, N. (2021). The Essence of Metonymy (Kinayah) in Arabic Rhetoric. Jil Journal of Literary and Intellectual Studies, (73).